مدرسة قد سمح

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص المحاضرة الرابعة

علاء حامد
Alaa Hamed

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد، فأهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء الرابع من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدارسة جزء "قد سمع".
اليوم بإذن الله سبحانه وتعالى نبدأ في سورة الحشر.

التعريف بالسورة

سورة الحشر مدنية بالاتفاق.
موضوعها الرئيسي يدور حول غزوة بني النضير، ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: سورة الحشر هي سورة بني النضير، حيث إن الصحابة كانوا أحيانًا يسمّون السور بأشهر موضوع فيها.

محاور السورة :

1. أحداث غزوة بني النضير:

وهي المعركة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير، وسنتحدث عنها بتفصيل لاحقًا.

2. أحكام الفيء:

وهو ما أفاءه الله على المسلمين من أموال بني النضير بعد الغزوة.

3. فضل المهاجرين والأنصار.

4. فضل من جاء بعدهم بإحسان الذين اتبعوا نهج الصحابة وكان في صدورهم سلامة لهم.

5. ذكر المنافقين وموقفهم:

حيث تعرّضت السورة لموقف المنافقين من غزوة بني النضير، وخاصة عبدالله بن أُبيّ بن سلول الذي حرّض اليهود على الثبات وعدم الاستسلام، ووعدهم بالمدد ولم يفِ بوعده.

6. تشبيه المنافقين بالشيطان.

7. الخاتمة والمواعظ:

اختُتمت السورة بالتذكير بتقوى الله والنظر في الآخرة، وذكر حال أهل الجنة وأهل النار، وأثر القرآن في القلوب، ثم الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى.

الحديث عن يهود المدينة:

علم اليهود من كتبهم أن المدينة ستكون مهاجر نبيّ آخر الزمان، ولذلك أقاموا فيها ينتظرون ظهوره، وكانوا يقولون للعرب: سيأتي نبيّ ننتصر به عليكم، كما في قوله تعالى:

{وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ} (البقرة:89)

لكنهم لما علموا أن النبي من بني إسماعيل وليس من بني إسرائيل، كفروا به.

كان في المدينة ثلاث طوائف من اليهود :

1. بنو قينقاع
2. بنو النضير، الذين كانوا يرون أنفسهم أشرف الطوائف، بزعم أنهم من نسل هارون عليه السلام، وأنهم من الطوائف اليهودية التي لم تتعرّض للجلاء عبر التاريخ.
3. بنو قريظة، وكانوا يعيشون في أطراف المدينة لا في وسطها.

المعاهدات مع اليهود :

عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، عقد معاهدة مع طوائف اليهود الثلاثة، تنص على السلم، وعدم الاعتداء على المسلمين، وألا يخونوا العهد أو يساعدوا الأعداء ضدهم.

لكن حين خانت إحدى الطوائف، كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيّرًا فيهم بين أربعة أمور هي:

احكام التعامل مع المخالفين للمعاهدة :

1. العفو
2. الأسر (السبي)
3. الطرد أو الجلاء
4. القتل

ملخص المحاضرة الرابعة

قصة يهود بني قينقاع :

في شأن بني قينقاع حدثت واقعة مشهورة. بدأت الأحداث بتعرض صائغ يهودي لامرأة مسلمة في سوقهم فكُشِفت عورتها. فقتل رجل من المسلمين الصائغ اليهودي. فرد اليهود بقتل المسلم. اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك خيانة للعهد، فأجليَّ بنو قينقاع عن المدينة.

قصة يهود بني قريظة :

أما بنو قريظة فحدثت معهم مشكلة لاحقة بعد غزوة الأحزاب. فقد تعاونوا مع قريش وغطفان في غزو المدينة. كانوا متواطئين على خيانة النبي صلى الله عليه وسلم. فعُرف أمرهم فأُسر رجالهم ثم قتلهم وسبيت نساءهم وذرياتهم وقسمت أموالهم.

قصة يهود بني النضير :

الذين خانوا النبي صلى الله عليه وسلم فكان جزاؤهم الجلاء. {وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا}، كما أشارت إليه الآيات.

وعن سبب غزوة بني النضير فثمة روايتان :

الرواية الأشهر وقعت حادثة بئر معونة :

في صَفر من السنة الرابعة من الهجرة ، تجرأ بعض العرب واستباحوا حال المسلمين بعد ضعفهم في غزوة أحد. فوقع حادث بئر معونة حيث غدر قوم وقتلوا سبعين من الصحابة. نجا منهم عمرو بن أمية الضمري، وفي الطريق أثناء رجوعه إلى المدينة نام تحت شجرة، فمرَّ عليه رجلان من بني كلاب (مشركين) فظنهم من قتلة أهل بئر معونة فقتلهم حين كانوا نيامًا. لما علم النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن القتيلين كانا ممن بينهما وبين المسلمين عهد وأمان، فقرر النبي دفع الدية عنهما.

وبمقتضى المعاهدة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة كان المتفق عليه التعاون في سداد الديات. لذا توجه النبي إلى ديار بني النضير طالبًا مساعدتهم في الدية. جلس النبي صلى الله عليه وسلم بجانب جدارٍ في بيتٍ من بيوتهم يسند ظهره وينتظر المساعدة، ومعه أبو بكر وعمر وبعض الصحابة. فامتلأت قلوب اليهود غيظًا وحقدًا وتآمروا على قتله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: "أيكم يأخذ هذه الرحى فيصعد بها فيلقيها على رأس محمد فيشدخ بها رأسه؟ فقال أشقاهم، عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليُخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينهم".

وبالفعل، أبلغ جبريل النبي بذلك فخرج مسرعًا من ديارهم ولحق به أصحابه، ثم حاصر النبي بني النضير فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعث محمد بن مسلمة، إلى يهود بني النضير ليبلغهم أن : "لا تساكنوني في المدينة، وقد أجلتكم عشرًا، فمن وجدته بعد ذلك منكم ضربت عنقه". فلم يجد اليهود مناصًا، فتجهزوا للخروج من المدينة، غير أن رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول بعث إليهم أن اثبتوا وتمنَّعوا ولا تخرجوا من دياركم؛ ووعدهم بأربع آلاف رجل وأحلاف. فأنزل الله سبحانه وتعالى في سورة الحشر :

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}
(الحشر:11).

فعاندوا ورفضوا الاستسلام. وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بنيتهم على القتال، فسار إليهم صلى الله عليه وسلم مقاتلًا وكان اللواء مع علي بن أبي طالب، حتى وصل وفرض الحصار، فالتجأ اليهود إلى حصونهم، وكانت نخيلهم وبساتينهم عونًا لهم، فأمر ﷺ بقطعها وحرقها، إغاظة لليهود، وليتيسَّر القتال. وهذا ما أشارت إليه الآية:

{مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ }.
(الحشر:5)

و بعد حصار دام ست ليالٍ أو قيل خمسة عشر ليلة، ولم يأتِ مددٌ من المنافقين ولا من غطفان ولا من بني قريظة.

وأُلقي الرعب في قلوبهم واستسلموا. أذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم أن يحملوا نساءهم وأطفالهم ومتاعهم على ستمائة بعير فقط. كان كل ثلاث بيوت يكتفون ببعير واحد، ولا يحملون سلاحًا، ومن حمل سلاحاً قُتل. طُردوا من المدينة إلى بلاد الشام، فقطعوا مئات الكيلومترات حتى وصلوا إلى أطراف بلاد الشام، بمنطقة تعرف بـ أَذرعات.

الفيء :

أخذ النبي صلى الله عليه وسلم أرض بني النضير وسلاحهم كله دون قتال فعلي.

من أخذ بهذا القول قال: إن غزوة بني النضير وقعت في أوائل السنة الرابعة من الهجرة.

الرواية الثانية عن سبب غزوة بني النضير :

أنها حصلت بعد غزوة بدر.

تذهب رواية أخرى إلى أن سبب غزوة بني النضير كان اتفاقًا بين قريش وبني النضير ضد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر.
كتبت قريش فيها:
"إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين نسائكم شيء."

فلما وصل الكتاب إلى اليهود قالوا فيما بينهم: "ينبغي أن نقاتل هذا الرجل حتى لا تهجم علينا قريش، فنحن نخشى الدوائر والمصائب."
ففكر اليهود في حيلة ماكرة، فبعثوا إلى النبي ﷺ وكأنهم يريدون التعرف على الإسلام، وقالوا له:
"اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك ويلقاك ثلاثون من علمائنا، في مناظرة، فإن آمنوا بك اتبعناك"

ثم راجعوا أنفسهم وقالوا: "ثلاثين عدد كبير، إن جاؤوا فقد ينصرونه، ولن نقدر على الغدر بهم."
فقرروا أن يكونوا ثلاثة فقط.
فعدّ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فرصة طيبة لعلهم يدخلون الإسلام وهمّ بالذهاب إليهم.
كانت هناك امرأة من بني النضير، أسلم ابنُ أخيها، فلما علمت بما دبّره قومها من غدر، أرسلت إلى ابن أخيها المسلم وأخبرته بما يبيّتون لهم من مكر، فبادر هذا الرجل بإخبار النبي صلّى الله عليه وسلم بما علم.
فجمع صلّى الله عليه وسلم أصحابه، ثم خرج إلى بني النضير، وقال لهم:
"إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه."
فأبوا أن يعطوه عهدًا، فقرر النبي ﷺ محاصرتهم، وبدأ الحصار، ثم جرت القصة كما تقدّم.

وبحسب هذا الاحتمال كانت الغزوة بعد غزوة بدر بستة أشهر، أي ربيع الآخر من السنة الثالثة للهجرة.

الفرق بين عرض السيرة وعرض القرآن للغزوات :

يعرض القرآن الغزوات من منظور القلوب، فيتحدث عن المشاعر، والصدق، والإيمان، والرعب، وثمرات الابتلاء، ويعرّفك بالله تعالى من خلال الحدث، فلا يركّز على الأجساد، بل على القلوب، وربطها بصفات الله تعالى واسمائه الحسنى.

وهذا الأسلوب القرآني يتكرر في الحديث عن الغزوات:
ففي سورة آل عمران: عرض الله تعالى ما جرى في غزوة أُحد من جانب القلوب والابتلاء.
وفي سورة الأنفال: عرض ما جرى في غزوة بدر .
وفي سورة الحشر: عرض الله ما جرى في غزوة بني النضير من منظور تسبيح الخلق وتنزيه الله عن النقص.

تعرض السيرة النبوية الأحداث والأعداد والأسباب الظاهرة، وكيف بدأ الحصار، ومتى انتهى، ومن شارك فيه.

(الآية 1) :
{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}
أي نزّه اللهَ كلُّ ما في السماوات وما في الأرض.
التسبيح هو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب.
"سبحان الله" أي: أنزّه الله عن كل نقصٍ وعيبٍ وظلمٍ.
وهذا مناسب لغزوة بني النضير، فمن كمال الله تعالى أنه لا يترك الماكرين والمخادعين دون جزاء، ولا يرضى أن يُمكر بنبيّه ﷺ دون أن ينتقم له، فالله منزه عن أن يقرّ الظلم أو أن يُغلب على أمره.
{مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}
أي إن جميع المخلوقات تسبّحه.
إذا كان هذا حال الجمادات والمخلوقات التي لا تُحاسب، فالتسبيح والتنزيه أولى بالإنسان المكلف المحاسب من غيره.

ارتباط أسماء الله الحسنى بسياق الآيات دقيق ومقصود، إذ يتناسب مع الموقف والحدث ومعنى الآية، ليُبرز كمال صفاته وجلال حكمته.

{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}
الاسمان مناسبان لسياق السورة:
العزيز: أي الذي لا يُغالب، ولا يُقهَر، بل هو الغالب على أمره. "لا يُغالب" تعني أنه لا أحد يجرؤ على محاولة مغالبته.

{الْحَكِيمُ}
الذي يضع الأمور في مواضعها، فلا يظلم أحدًا، ولا يُقضى شيء إلا بحكمة بالغة.
فطرد اليهود من المدينة كان بحكمة وعدل لأنهم هم الذين خانوا وغدروا.

فلا يقال: "كان الأولى أن يُسامحهم" أو " كان الأفضل أن يُتركوا"، لأن الله هو الحكيم، وقضاؤه العدل والصواب.

التناسب بين أول السورة وآخرها :

اختُتمت السورة بالاسمين نفسيهما اللذين افتتحت بهما:
{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}
وهذا ما يُسمّى في علم البلاغة بـ "حُسن المناسبة"، أي التناسق بين افتتاح السورة وختامها.

(الآية 2) :
{هُوَ الَّذِيَ أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }
رغم أن المسلمين هم الذين حاصروا وأخذوا بالأسباب، إلا أن الله نسب النصر والإخراج إلى نفسه، فقال: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ} لتربية المؤمنين على التوحيد.

وهذا المعنى مشابه لقوله تعالى:
{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} (الأنفال: 17)
فالنتائج كلها بيد الله، ولو بذل الإنسان كل الأسباب، فإن الله وحده هو الذي يُقدّر النتائج ويمنح النصر أو يمنعه.

التوكل على الله والفضل له وحده:
حتى مع توافر جميع الأسباب والوسائل، يجب أن يُنسب كل فضل إلى الله وحده. هذا التوجه يعزز قدراتك ويجعلك أفضل،

ويجلب لك العون والتوفيق، بينما الاعتماد الكامل على النفس دون الاستعانة بالله قد يؤدي إلى الخذلان والفشل.

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}
تأكيد على أن الله هو الذي أخرجهم دون مقاومة منهم.

{ الَّذِينَ كَفَرُوا }
هم اليهود بشكل رئيسي، وهذه الآية دليل على كفرهم، بالإضافة إلى كفر النصارى كما ورد في سورة المائدة:
{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }
(المائدة : 73)
نصَّ القرآن على كفر من كذب بالرسول من اليهود والنصارى، ومن مات منهم على الكفر فهو من أهل النار، مخلدٌ فيها، ولا يجوز الترحم على من مات على الكفر.

{ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}
تحتمل معنيين
1. القول الأول المكاني:
يشير إلى المكان الذي خرج إليه اليهود عند إخراجهم من المدينة، إلى أذرعات بداية بلاد الشام. وفي آخر الزمان يحشر الناس إلى الشام "أرض المحشر".
2. القول الثاني الزماني:
قد يشير إلى الزمن، أي أول حشر وقع لليهود، ثم قد يحدث حشر آخر لهم أو لغيرهم في آخر الزمان.
3. القول الثالث: زماني، أن الحشر الثاني كان زمن عمر رضي الله عنه، حين أخرجهم من خيبر.

بعض بني النضير استقر في خيبر، والبعض الآخر ذهب إلى الشام. عندما فتح النبي ﷺ خيبر أبقاهم هناك وفق ما يشاء الله، وبقوا حتى زمن عمر رضي الله عنه، الذي أجلاهم إلى الشام، فاعتُبر هذا الحشر الثاني لهم. على أساس أن الحشر الأول كان ذهابهم للشام.

ملخص المحاضرة الرابعة

{مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا}
ظن الصحابة أن اليهود لن يُخرجوا وأنهم سيخوضون قتالًا مريرًا، بسبب قوتهم وقوة أسلحتهم، فتعجبوا من ذلك.

{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ}
ظن بنو النضير أن حصونهم ستحميهم من الهزيمة.
قدّمت الآية الخبر على المبتدأ لبيان شدة الثقة في قدرة الحصون على المنع، وتظهر قدرة الله على قهر من يشاء.

{فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}
يُركّز الإنسان حساباته على عناصر القوة المادية من حصون وأسلحة وخطط، لكن الله تعالى يأتي بما لا يُحتسَب.

{وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}
ذلك جندٌ غيبيٌّ لا يُقهر، لا يطرق الأبواب ولا يحطم الجدران، بل يخترق القلوب مباشرة. ومتى استقر في القلب حُسم الأمر. يتلاشى حينها كل حساب مادي، وتنهار إرادة القتال، تتداعى الحصون ويسقط كل اعتماد على الأسباب المادية.
وكما حدث مع يهود بني النضير الذين استسلموا داخل حصونهم المنيعة دون قتال، رغم عجز المسلمين عن اقتحامها ماديًا.

كالطفل الصغير الذي يفر منه الجندي المسلح؛ فالمعركة الحقيقية تُحسم في الأعماق، قبل أن تبدأ في الميدان.

على المسلم أن يربط قلبه بالله ويحسن الظن به، مؤمنًا بأن النصر قد يأتي بأضعف الوسائل ومن حيث لا يحتسب، سواء بالأزمات المادية أو بأن يسَلِّطهم الله على بعضهم، أو بالابتلاءات والزلازل.
فالقلب هو ميدان المعركة الحاسم، والاعتماد على الله والعمل بالأسباب مع اليقين بأن النتيجة بيده سبحانه، هو مفتاح كل فرج وتيسير.
الفرج من الله يأتي من حيث لا نحتسب، حين نصدق في الدعاء ونتوكل عليه، فأحسن اللجوء إلى الله مهما ضاقت الأسباب المادية.

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}
(ال عمران:196)
لا تغتر بقوة الأعداء فأقوى الأسباب المادية لا تقي من قدرة الله، فحتى في قمة ثقة العدو بما يملك، تنقلب الموازين من حيث لا يدري ولا يحتسب.

يمهّل الله الظالمين لكنه لا يتركهم دون حساب، فالعقوبة قد تتأخر لكنها حتمية عند وقتها، واحذر مكر الله سبحانه وتعالى، مع إدراك أن حكمه وتصريفه للأحداث حكمة لا تدركها العقول.

نزل اليهود على حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالجلاء، وأمرهم برمي السلاح
وألا يكون معهم إلا حمل بعير وأن يخرجوا على ستمائة بعير، فتقاسموا كل ثلاث بيوت بعيرًا واحدًا أثناء خروجهم، ملتزمين بأمر النبي ﷺ، في تطبيق دقيق للحكم الإلهي.

{يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}
يخربون تحمل معنيين معنوي ومادي.
1. المعنى المعنوي:
يخربون بيوتهم نتيجة نقضهم العهد مع النبي ﷺ ومعصيتهم لله، فالخراب هنا معنوي، كأن نقول لشخص يثير المشاكل في بيته: "أنت تخرب بيتك بيدك"، أي فساد البيت وعلاقاته بسبب أفعاله الخاطئة.

2. المعنى المادي:
تشير الروايات إلى أن بني النضير خربوا بيوتهم ماديًا، وهناك ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: عند كسر المسلمين جزءًا من الحصن، كان اليهود يهدمون جزءًا من بيوتهم لسد الثغرة التي أحدثها المسلمين.
الاحتمال الثاني: أثناء تنقلهم وحملهم الأشياء على البعير، كانت لديهم مقتنيات ثمينة مثل الأبواب والشبابيك، فكانوا يخلعونها ويكسرونها لنقلها، لتعلقهم بها.
الاحتمال الثالث: كانوا يخربون بيوتهم وأبوابها وشبابيكها الغالية حتى لا ينتفع بها المسلمين.

{بِأَيْدِيهِمْ}
المعنى الحرفي هم باشروا بأيديهم خراب بيوتهم.

{وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}
لا يقصد من أن المؤمنين خربوا البيوت بأنفسهم مباشرةً، بل تشير إلى السببية، ف "اليهود" تسببوا بذلك بسبب نقضهم للعهد أصبح سببًا لتدمير البيوت.

إذن، بني النضير خربوا بيوتهم بالمباشرة والسببية: مباشرتهم للتدمير بأيديهم، وسببهم في إحضار المؤمنين الذين أحاطوا بهم فتم التخريب.

{فَاعْتَبِرُوا يَـٰأُولِي الْأَبْصَـٰرِ}
الاعتبار: مشتق من كلمة العبور، والعبور يعني الانتقال من مكان أو حالة إلى مكان أو حالة أخرى.
وبالمعنى المجازي: يشير إلى الانتقال من مشهد إلى آخر في تفكير الإنسان وعقله؛ فالناظر إلى أحداث الماضي، ويرى ما آلت إليه الأمور من عواقب، يستطيع أن يتعلم منها ويستخلص الدروس، فيتجنب الوقوع في مثل مصير الأقوام السابقة.

بينما ينتقل بصر الإنسان بين مشاهد الأحداث، تنتقل بصيرته بين العبر والدروس.
فالناظر في عواقب الأمم السابقة ينتقل من مرحلة المشاهدة إلى مرحلة التفكير العميق، مستخلصًا الحكمة التي تحميه من الوقوع في المصائر ذاتها.
الأبصار تعني بصيرة القلب السليم، فالذي يُرزق بصيرة يرى بها عواقب الأمور ويفكر في نتائجها، كما قال الله تعالى:
{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} (محمد:10)
أي: سيروا في الأرض وانظروا نهاية من سبقكم، فاعتبروا يا أصحاب البصائر.

للأسف، كثير من الطغاة يجهلون الدروس التاريخية أو يعلمونها دون اعتبار، فيكررون أخطاء من سبقوهم، بينما قليلون فقط من يعتبرون.
الاعتبار بسوء الخواتيم :
كمن يشهد سوء الخاتمة عند الآخرين في الجنازات فلا يتعظ.

فمثلًا، إذا رأى الإنسان من ضلّ الطريق وساءت خاتمته، ورأى آخرَ استقام فنال خير الله وفضله، فليعلم أن اتباع طريق الضال لن يغيّر نهايته، فمن عاش على شيء مات عليه.

ولابد للإنسان أن يقيس ذلك على نفسه وأن يعتبر مما يرى ويسمع قبل فوات الأوان.

وقد استدلّ كثير من العلماء بهذه الآية على جواز مشروعية القياس، باعتباره أحد مصادر الاستدلال في الشريعة الإسلامية. (اعتبروا أي قيسوا وتدبروا).

القياس : هو استنباط حكم شرعي لمسألة جديدة لعلة موجودة في مسألة أصلية.
فمثلاً: الخمر محرّم لعِلة السكر. فإذا ظهر شيء آخر مثل المخدرات ووجدت فيه نفس العِلة (السكر)، يُحكم عليه بنفس الحكم، أي التحريم. ويُسمّى هذا قياس الفرع على الأصل.

(الآية 3) :
{وَلَوْلَآ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي الْأٰخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ}
لو لم يقدّر الله لهم الجلاء مسبقًا في قدره، وهو النُزوح والطرد من المدينة إلى الشام لأهلكهم بالعذاب في الدنيا بالقتل والسبي.

الجلاء عذاب؛ ذلك لأن النزوح يترتب عليه مشقة كبيرة: ترك الديار، أخذ النساء وكبار السن، والسير لمسافات طويلة جدًا، وحمل الممتلكات على وسائل نقل هالكة، كل ذلك يشكل عذابًا

كتب عليهم الإذلال في الدنيا، والعذاب في الآخرة جزاء كفرهم وخيانتهم،

{لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا}
الجلاءَ والنزوحَ عن الديار هما عذابٌ بحدِّ ذاته، لكنَّ الآية تشير إلى أنَّ العقوبة تتجاوز الجلاء إلى ما هو أشدُّ منه، ألا وهو القتلُ والسبي.
فالجلاءُ هو عذابٌ في الدنيا، لكن القتلُ والسبي أقسى منه.
وخيرُ مثالٍ على ذلك ما حدثَ مع يهود بني قريظة، حيث كان القتلُ مصيرهم المُحتَّم.
ومهما عَظُم عذاب الدنيا، فهو جزئيّ، أما عذاب الآخرة فهو الأكبر.

(الآية 4) :
{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}
العلة في ذلك أنهم خالفوا الله ورسوله، وهي الشقاق بعينه، حيث يُصبح العبدُ في شِقٍّ ودينُ الله في شِقٍّ آخر.

هذا المعنى يتجاوز كونه حادثةً تاريخيةً ليكون قانونًا إلهيًا شاملاً وقاعدة عامة للجميع، فالاعتبار هنا أن مخالفة الدين تشمل كل مظاهر المعصية، صغيرةً كانت أم كبيرة فهي شقاق لله، لأنها خروجٌ عن أمره بغضّ النظر عن كون الفاعل يهوديًا أو مسلمًا سواء في الصلاة أو السرقة أو الرشوة أو الزنا أو أي معصية، فكلُّها تُعدُّ شقاقًا ومخالفةً لدين الله.

المفارقة الأليمة :
لقد كنّا أمةً عزيزةً بدينها، نؤثّر في موازين القوى ونُحاسِب المخالفين، مصداقًا لقول عمر رضي الله عنه:
«كنا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّة بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله».
فلمّا ابتغينا العزّة في غير دين الله، حلّ بنا ما حلّ من ذلٍّ وهوان، وأصبحنا نعيش تبعات النزوح والمصائب.
الخلاصُ لا يكون إلا بالعودة إلى الانتصار لدين الله، فهو سبحانه ينصر من ينصره، ويُعِزُّ من يعزّ دينه.

(الآية 5) :
{مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَٰسِقِينَ}
كان النخل طويلًا جدًا مقابل الحصون، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بحرق بعض النخل بهدف إغاظة اليهود ومنعهم من استخدام النخل في القتال لأنهم كانوا يستترون خلفه.
اللينة هي النخلة ذات التمر الجيد.

موقف بنو النضير من حرق النخل :
لقد شنّع يهود بني النضير على المسلمين، بإتهامهم بالتناقض
قالوا: أتقطعون النخل وتحرقونه وأنتم تزعمون الإصلاح، حاولوا إظهار فعل المسلمين كمخالفين لدعوى الإصلاح والصلاح،واتهامهم بالإفساد في الأرض

{فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}
فكان رد الله تعالى حاسمًا بهذه الآية الكريمة فقد:
جعل الله الفعل مشروعًا بإذنه الشرعي، وبالإذن الكوني لأنه قد وقع بالفعل، ودافع الله تعالى عن المسلمين بين أن المقصود إخزاء الفاسقين الغادرين

تأكيد أن المصلحة العامة في تحقيق النصر تبيح مثل هذا الفعل.
فالشناعة الحقيقية كانت في غدرهم وخيانتهم.
الأصل في الغزوات النبوية منع الإفساد في الأرض، مع النهي عن قطع الأشجار وإتلاف الممتلكات دون مبرر.
فائدة من قوله تعالى:
{فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}
يكفيك حجة وسندًا.

لاتسمح لأحد أن يشنع عليك في دينك وبما شُرع لك :
اعتز بإيمانك، لن يستطيع أحد أن يلقي اللوم عليك فيما أذن الله لك به، لذلك لا تسمح لأحد أن يهجم على شرع الله في حياتك:
- إذا سُئلت: "لماذا ترتدين الحجاب؟" – فقولي بثقة: "بإذن الله".
- وإذا أنكر الآخرون عدم مصافحتك للجنس الآخر– فقل: "بإذن الله".
- إذا رفضت الخروج مع خطيبك دون محرم فاشهري قولك: "بإذن الله".
- إذا امتنعت عن التعامل بالربا: "بإذن الله".
لا تستحي أبدًا من دينك؛
فأنت بالإسلام أعز وأقوى.

موقف المسلم عزة وإيمان : لم يكن الإسلام يومًا في قفص الاتهام، ولن يكون شرع الله ناقصًا حتى يبرر أحد اختلافه عنه. فالمؤمن يتحرك بعزة وكرامة، لا بغرور، لأنه يعلم أن دينه كامل، وأن من ينتقده ليس أكمل من الله، لا تكتف بالدفاع عن دينك، بل واجه بثبات من يشك فيه، فالحق معك، والعزة لدين الله.
قل بفخر: "هذا بإذن الله"، وافتخر بالعمل بما أمر الله به. واعتز بالانتساب إلى شرع ربك
لا تخف أبدًا مما أذن الله لك به، فما دام الله قد أذن فهذا هو الحق.

(الآية 6) :

{وَمَآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

الفيء: يطلق على الظل عندما ينتقل من جهة إلى أخرى.

وفي الاصطلاح :

هو المال الذي يؤخذ من الكفار بغير قتال.

فكما أن الظل ينتقل من مكان إلى آخر بسلاسة وبدون مشقة، كذلك مال الفيء يأتي للمسلمين بسهولة ويسر من غير حرب ولا قتال.

{فَمَآ أَوْجَفْتُمْ}

ما أسرعتم ولا بذلتم جهدًا.

{وَلَا رِكَابٍ}

لم تركبوا الإبل للقتال أو السفر.

{وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ ۚ}

بتأييد الله.

تشير هذه الآية إلى أن فيء بني النضير كان حالة خاصة للنبي ﷺ، لأنه لم يكن في سياق قتال خارج المدينة، بل داخلها، فكانت أموالهم داخل المدينة ولم يتطلب أخذها سفرًا ولا قتالاً.

(الآية 7) :

{مَآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَآءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

الفرق بين الفيء والغنيمة :

الغنيمة:

هي المال الذي يؤخذ من الكفار بالقتال.

وتقسم إلى: خمسة أخماس: أربعة أخماس للمقاتلين، وخُمس يُصرف في المصارف الشرعية الخمسة: " لله وللرسول، وذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل".

مصارف الغنيمة:

تقسم خمسة أخماس:

أربعة أخماس للمقاتلين.

الخمس المتبقي يصرف على خمسة وجوه:

1. لله وللرسول: وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ "خمس الخمس" يصرفه على بيوته، وباقي خمسه يصرفه على أمور المسلمين العامة.
2. لذي القربى: وهم بنو هاشم وبنو المطلب.
3. اليتامى: الصغار الذين فقدوا آباءهم قبل البلوغ.
4. المساكين: الفقراء الذين لا يجدون كفايتهم.
5. ابن السبيل: المسافر المنقطع في بلاد المسلمين، الذي انقطعت نفقته، فيُعطى ما يكفيه حتى يعود إلى بلده.

الفيء :

هو المال الذي يؤخذ من الكفار بغير قتال، ولا يخصص منه للمقاتلين، لأنهم لم يبذلوا جهدًا في أخذه.

يُصرف الفيء كله للمصارف الشرعية الخمسة :

لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

الحكمة من توزيع الفيء :

لإغناء هذه الأصناف الخمسة، وتوزيع الأموال كي لا تكون محصورة عند الأغنياء، وتحقيق عدالة اجتماعية واقتصادية. منح الفقير مصدر دخل آخر من الفيء (إضافة إلى الزكاة)، المحافظة على مستوى معيشي معتدل للمجتمع وتقليل الفجوة بين الغني والفقير، وقاية المجتمع من الفساد والجرائم والرأسمالية، ومن البغضاء بين الطبقات.

تحث الشريعة الإسلامية على التكسب والعمل.

{كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ}

دولة من التداول؛ أي لا تكون الأموال متداولة بين الأغنياء فقط.

تفسير آيات الفيء في القرآن :

آيات الفيء الرئيسية هي الآيتان السادسة والسابعة من سورة الحشر.

القول الأول لبعض المفسرين :
يروا أن الآية السابعة تشرح وتفصل الآية السادسة وتشير إلى أن أموال بني النضير كانت فَيْئًا خاصًا للنبي صلى الله عليه وسلم، ذكرت في الآية إجمالا، بينما جاءت الآية السابعة مفصلة مصارف هذا الفيء تفصيلًا.
وبذلك تكون الآية السابعة توضيح للآية السادسة.

2. القول الثاني لجمهور المفسرين :
إن الآية السادسة تخص النبي صلى الله عليه وسلم في بني النضير، فهذا الفيء خاص به، ويفعل به ما يشاء.
أما الآية السابعة فتتحدث عن عموم أي فيءٍ بعد ذلك، فيرجع لمصارفه الخمسة: لله وللرسول، ولذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

ومما يدل على صحة القول الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم تصرّف في الفيء كيفما شاء فوزع المال على المهاجرين وبعض الفقراء من الأنصار مثل سهل بن حنيف وأبي دجانة.
لأن بني النضير كانوا داخل المدينة، و "لم يُوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب".
وغالب الفيء يكون من أموال أخذت من خارج المدينة.

{وَمَآ ءاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}
ما آتاكم من الأموال، خذوه وارضوا بقسمته دون اعتراض.
وكذلك ما آتاكم من الأوامر الشرعية.
بدليل قوله تعالى: {وَمَا نَهَىٰكُمْ} فالحديث ليس عن المال فقط.
"فالأمر بأخذ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أمرٌ قرآنيٌّ واجب الاتباع.

الآية دليل على بطلان دعوى الاكتفاء بالقرآن دون السنة:
من يدعي الاكتفاء بالقرآن فقد خالف القرآن نفسه، لأن القرآن أمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن زعم الاكتفاء بالقرآن فقد ترك العمل بهذه الآية، لأن القرآن نفسه يُحيل على السُّنَّة.
قال الله تعالى:
{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل:89)

فيقول بعض الناس: إذا كان القرآن تبيانًا لكل شيء، فليس هناك حاجة إلى السنة.

التبيان في القرآن على نوعين:
1. بيان مباشر من القرآن نفسه، كالمواريث.
2. بيان بالإحالة إلى السنة، كالوضوء، أي أن القرآن يوجهنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لبيان بعض الأحكام التي تُفصِّل ما أُجمل فيه وللمزيد من الأحكام.

القرآن والسنة متلازمان، فالسنة مبيِّنة للقرآن، ومن تركها فقد خالف القرآن الذي أمر باتباع الرسول ﷺ، والعمل بها هو عمل بالقرآن.

استدل ابن مسعود بهذه الآية على حُجِّيَّة السنة.
قد جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: "يا ابن مسعود، بلغني أنك تنهى عن الوصل وتقول إن الله لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وقد قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أجد ما تقول."
فرد عليها قائلاً: "لو قرأتِه جيدًا لوجدتِه، ألم تقرئي قول الله تعالى: {وَمَآءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}؟"
ثم قال: "فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة."

فبهذا بيّن ابن مسعود أن من يعمل بالقرآن حقًا، فعليه أن يعمل بما جاءت به السنة.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}
تحذير من ترك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو فعل ما نهى عنه، أو التقصير في اتباع سنته.

نسأل الله السلامة والعافية، وأن يوفقنا لفهم كتابه وتدبره، والعمل به وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم،
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.